تمثال الحقد

بقلم الجنيدي خليفة

- ١ -

« حمادية » في ٢ - ٥ -

عزيزي الامين

يبدو انك قد قررت فيما بينك وبين نفسك ان تستدركني بعناية بالغة وان تهتم باحوالي صغيرها وكبيرها عسى ان تصل الى « انقاذي» ان هذا ما فهمته وانا اقرا في رسالتك الاخيرة اقتراحك بان اخط اليك بمذكرات يومية او اسبوعية ارسلها اليك بين الحين والاخر ، وتقول ان في قيامي بذلك لوفاء بحقوق الصداقة كما ان فيه طريقا الى التخفيف من عبء ماعاني .

عفوا ايها الصديق الكريم ، لقد كتبت اليك رسالتي الماضية وانا اتعمد الا احدثك عن جرحي باكثر من القدر الذي يرفع سؤالك عن سبب النزيف ، ولكن هل تراني الان ، وقد رحت تحدس وتستنتج في خواطرك حقيقة الحال ، هل تراني اعترف اذن بان الجرح انما هو اخدود الدود عند ايوب ..!

بل من يدري ايها العزيز فلعل الاعتراف بحقيقة امر من الامور يؤدي الى التهوين من هول التقدير الذي كان يلفعه المجهول ، او هذا ماخبرته شخصيا وقد وقفت ممزق القلب تجاه مسكين يمد يده ، فلا يجد مواسيا ، لقد اصبحت من بعد عرضة لاكثر الاحوال بؤسا وحزنا فكنت اعيشها وليس يعروني غير القليل من مثل تلك المشاعر .

اما ما رجوته لي من تخفيف العبء بما أكتب فاخشى الا يكون مصدره غير تفاؤلك ، او ، ولا تواخذني ، تشبثك بصورة عرفتها في ماض هو بالنسبة الي جد سحيق ، لقد انقرض ذلك الزمان حيث كان يكفيني ان اكتب صفحة حتى انطلق بعدها خليا يغالبني النعاس ، آه ! اني الان اكتب وإعود الى ماكتبت فاجده كشهادة ضد وجودي ، شهادة بخط صاحبها لاتقبل التاويل او الانكار .

ومهما يكن فاني ابدأ الان فانقل اليك بعض ماتجمع عندي خلال فترة قصيرة من التراسل بيني « وبينها » وانت بطبيعة الحال تعرف السنة التي وقعت خلالها علاقتي بها ... ولا يهمك الا تكون هناك يوميات تصف علي حد تعبيرك « تطوراتي خطوة خطوة » ، فانا على اية حال لن اعتبر غير ايامي الصميمة التي يعيشها عقلي ووجداني وكياني جميعا ، وكثيرا ماابيت بلا ايام ولا زمان .

واما خطتك في « انقاذي » فهي ولا اخفي عليك لاتهمني الا بقدر ماهي خطة لتسليتك ، ولكي اتيح لك اكثر مايمكن من عوامل التسلي ابادر فالفت نظرك الى ان ابتدائي الحديث بالحب لايعني اكثر من رغبتي في التفرغ لغيره ، من الاحاديث ، فما اكتبه عنه هو بالنسبة اليك لمسات ضرورية لاكمال صورة ما تريد رسمها عني ، ومن ثم فاني اخشى ان انطلق بقدر ماتريد اللحاق بي وان اند عن التصوير كلما اضفت الى لوحتك خطا جديدا ...

- ٢ -

الواعر في ١٦ - ٧

عزيزتي ليجادا

اعتقد ان جميع ماوقع بيننا ينطوي رغم فداحته على مدعاة غفرانه، واشعر اني لاازال اقرب الناس اليك على عظم ذلك السد الرصاصي الذي اصبح يرتطم به القلب كلما نازعه الماضي القريب .

سوف تضحكين وتطفو على بخار ضحكتك الكبريتية قصة بغي تعتقد ان لما تقترف مبررا وان الله يعرف حقيقة الاحوال التي قادتها الى البغاء فكان بينها وبينه « مفاهمة » خفية واتفاقا ضمنيا ، ومن ثم فان ماتقترف لايصبح وحسب مغفورا بل ومرغوبا مباركا .

انا لاالومك ايتها العزيزة ، ومع ذلك فان شعوري بالقرب هو عندي اكثر من الحقيقة ؟ وان المسؤول عن ذلك انما هو خدعة ما ، خدعة بالغة الغموض والسرية ذهبنا ضحيتها ، كنا نشاهد تدحرجنا فعقدت الخشية من ان يكون سقوطنا واقعا لاكابوسا ، عقدت بارادتنا وشلت تفكيرنا فبقينا مبهوتين مدفوعين بايثار معرفة ما اذا كانت هذه الحقيقة تنطوي على شيء من المبالغة ، فلم نفطن لفداحة الغبن الا وقد ارتطمنا بالقاع !

آه ، لقد غرر بنا ايتها العزيزة ولم يكن من بد لهذا التغرير ،وذلك لسبب تعرفينه ، تعرفينه ؟ قد لايكون هناك سبب بالمعنى الذي يعرفه فلاسفة بلادك او الميكانيكيون الذين كنت تفرين من صخب مايديرون ويحركون .. وقد لاتكون هناك بالمثل معرفة بالمعنى المالوف - غير انه مع ذلك معاش منا في كل آن ومنتشر على كل الاجزاء والابعاد . كل ماحصل بيننا كان يجب ان يسير على خلاف ماحصل ، انك لاتنكرين انتماء كلينا الى زمرة الاشقياء رغم ابتعاد جنسي من جنسك واحوالي من احوالك ، انك لاتذكرين خروجنا عن قانون الناس العام وشروعنا في تتبع خطوات الشيطان .. كنت احب ازهارك التي تصنعينها لي من الورق فاؤثرها على اجمل الورود التي تنبت في حقول الاخرين كنت تربتين على عضلاتي وتمسحين على وجهك بعرقي المتصبب وننام مرددين : « ابانا الذي في السماء مزيدا من التجربة ! »

لم يكن من معنى لوجود احدنا بدون الاخر ، وكانت حياتنا تقوم على اساس الا وجود عدانا ؟ فما معنى ذهاب كل ذلك ؟ كيف صلبت هذا الوجود ورحت تلوحين بالعلم الابيض تجاه اجسام من الورق المقوي ؟ تكلمي ايتها المارقة ، حدثيني ايتها ... ايتها العزيزة ، قولي كيف استطاع انفك المفعم برائحة المطر يختلط بالتراب ان يصبح مفعما ببخور يصوغه شحاذ متجول ؟!

ص.ب

- ٣ -

بون في ٣٠ - ٧ -

ادعوك ماذا ؟ اني لم اعد قادرة ان اسميك باسمك ، ان ذلك يعرضني للاغترار بك فاخلط حقيقتك الباطنة بمظهرك لدى الناس ، اني لم اعد ارى فيك غير الحقيقة التي خبرتها باعصابي وفكري وجسدي وكل مايمت الي .

وليتني استطيع دعوتك باي لقب اخر ينفس قليلا عن عذابي ،ليتني ادعوك مثلا ببركان غيظي الثائر ، بشجرة حقدي المكتظة اثمارا ... كلا ! اني لاارغب اطلاقا في دعوتك ولكني اتحرق شوقا الى لمسك ، الى ثقب صدرك باصابعي هذي ، فاقتطف قلبك وقد اعتصرت دمه الاسود القذر فيكون في فمي الذ ... ياللجحيم كدت اقول الذ من اول قبلة ذقتها منك !

ولكن لماذا اقوم بالرد عليك ؟ هل انا راغبة في مصالحتك واذن فلست غير مرتدة ، غير قوادة ، تستخدم لقاء ثوان يتفضل بقضائها معها سفاك منهوم !

تتحدث في رسالتك عن الغفران ولا ازال اذكر ماكنت تتبجح به من « ضرورة منحه لكل اخ ابوه ادم » ، ان الالهة وحدها هي التي تغفر او لا تغفر ،اما انا فاما ان انتقم واما ان ارفع يدي بالاستسلام ، لقد فكرت طيلة ايام وليالي في الانتقام منك ، وكنت كلما خيل الي انني

توصلت الى طريقة فعالة ندت من روحي آهات الراحة واحسست كما لو كانت هناك اسفنجة تمتص عذابي وتعصره ، بعيدا عني .

كنت اتمثلني وصلت الى سقيك كاسا من السم فتظل احلامي تتلمظ رؤيتك تضطرب وتقيء الحياة كقط حقير ، انت ايها الغدائي الرهيب ! آه ! اني سرعان ماتذكر ان رغبتي تتطلب بقاءك على ذلك حيا الى الابد تعيش حشرجتك وان اظل انا بقربك اتفرج عليك مابقيت.

فكرت في طريقة اخرى ، ان اصل بكيفية ما الى تعطيلك ، الى شل ساعديك فلن تحمل بعدها مسدسا ولا فاسا .. ويا لكم حلمت بان أفقأ عينيك فيتدلى منهما عنقودان من العمى .

ذهب باحلامي هذه الحقيقة التي لم استطع ويالالاسف اغفالها على ما حاولت ، ذلك باني حتى ولو حققت احلامي تلك لظللت انا المهزومة، فالوصول بالخديعة لا يكون الفضل فيه راجعا الي ولكن الى ثقتك بي ، الى المخاطرة التي دعتك الى بذلها رغم ما حصل بيننا ، اني قد اكون اذن اقوى منك ولكنك ستظل اعظم مني وهذا ما احسدك عليه ويقض مضاجعي .

آه اني اتمزق رغبة في تحطيم راسك ، اريد قطع الاوتار التي تشد خيوط جبهتك ، اريد ان اشوي قمة انفك بسطوح وجهك ، اريد ان أحطم اطباقة فكيك وشفتيك وادفن ذلك البريق الذي تعكسه على عينيك جذوتك المختبئة في مكان مجهول ... لن يقر قراري حتى تلقي سلاحك وترفع يديك وتغفر جبينك طالبا العفو والاسترحام .

*

فهل تراني اذن انا القادمة اليك المستسلمة الضارعة ؟ ان كان سيعود بيننا الاتصال في يوم ما فهو اتصال مشحون بالحقد والكراهية، ولن ارى فيك غير قاهري وقد ارتسمت بعيني الى الابد طعنتك الغاضبة .

فيا دوامة من اشعاع العقل وغبار الخساسة ، انت ايهذا الصوت الذي يتناغم فيه بكاء الاطفال مع قصف المدافع ، هل نراك لا تتفطن لحقيقة حالي لو عدت اليك ؟

سوف تنطلق معي في اغلب الظن ولكنك سوف تعتذر كضابط يحدث اتباعه : ليس ها هنا مكان للاسقاط ، لقد ادت المهمة وانتهت فدعوها الان تستريح

غير اني اعرف انك بدورك اعمى مران القلب ، فيكفي الا اذكر لك حقيقة احوالي حتى تظل في هيام لي وتظل تشعر بانك « اقرب الناس الي » ...

مهما يكن فانت عندي ايضا اقرب الناس واشدهم التصاقا لي غير انها قرابة الاجساد والحراب والرصاص بين المتحاربين ، القرابة التي تجعل الرصاصة نافذة وراس الحربة مقلنسا بالدماء .

آه ! انه تطاحن تعتمل بالقلب رغبة خوضه وتعجز اليد واللسان ان تعبر عنهما ، وهذا ما يجعلني اتساءل لماذا لا اضرب بحياة من هذا القبيل عرض الفناء .

— ٤ —

الواعر في ٨—٨ ——

مزيزتي الغالية

لو كان حبك كسائر انواع الحب لما اتيحت لي الفرصة للتفكير فيك وانا اصافح الموت تحت مطر القنابل ومن حولي وابل من الرصاص ، ولكن حبك كان عندي من هذه المعركة التي اخوضها ، فما غادرتك حتى انخرطت فيها مقومات وجودي ومبررا حياتي، لهذا لا تستغربي ان اكاتبك بهذه السرعة ، بل اريد ان اقول ان هذه الحقيقة يجب ان تحافظ على « الرومانتيكية الخاصة » التي كنت ترددينها في الماضي حرصك على ان اظل « أمنحك » اياها .

وان ذلك ليحملك على تصديقي في ان ادعوك عزيزتي الغالية في رسالة اختلط مدادها برائحة البارود وادوية التضميد ، وقد تكون اخر ما اخطه اليك .

انت عزيزتي لانك على قيد الحياة ، وما دمت حية فانه لا يمكن ان يكون احدنا بعيدا عن الاخر ، لنحذر فقط من ذلك الحاجز الرخو المترهل ، ذاك الحاجز العجيني اللزق فهو وحده القادر على شل لساني وحبس رجلي دونك ، انما الخشية في ان يصبح احدنا ذات مرة — وانا قريب منها — واذا هو غارق في جنته .

على انني ابادر فاذكرك بان حبي اياك اصبح خاليا من كل رغبة انني قد افكر من ملاقاتك ولكني لن افكر في الاتصال بك ، سأمد اليك يدي وتمدين الي يدك وسيقود احدنا الاخر كلما التقينا في ظلام ، غير ان يدك سوف لن ترتجف في يدي مرة اخرى كحمامة تهم بالطيران ..

ذلك بان حبي لك قد بلغ مبلغا اصبح به لا يرضى بالحصول على قلبك .. ولان اظل بدون جزاء اطلاقا فذلك خير من جزاء يغطي قبولي له غبنه ونقصانه .

*

ذلك شاني انا ، اما انت فماذا اقول ؟ يبدو انك اصبحت عاجزة عن حبي فتطرفت في كراهيتي .. ولا اخفي عليك ان هذا قد كان يعزيني في رسوم مضى ، غير انهذا اليوم قد انقضى منذ زمن طويل ، الان لم يبق لي وقت اقضيه في التنعم بان اكون مكروها منك .. فهل تعيدين لي هذه القوة لو التقينا ؟ ساكون مبتهجا اكثر مما لو منحتني حبك .

غير اني وانا استعرض كلمات حقدك في الرسالة قد رجوت لك منه خيرا عميما ، ان وجود تمثال للحقد قد يوحي للبعض برفع المعول وتحطيم قسماته ، فاما انت فانك تجيدين انواعا من القراءة وستجدين في قاعدة تمثالك هذا النقش :

انت ايهذا العملاق
لكي تتوج بالشمس هامتك
ولكي تملأ صدرك بهواء الفجر
لا تدس اقزاما هداجين حول اقدامك
ولكن علمهم كيف يصعدون لمصافحتك

ص.ب

القاهرة

الجنيدي خليفه